



كوكب لمع في سماء الأدب، وحلق في أفق عال مع أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ولكنه لم ينل من الشهرة والأضواء ما نال كل منهما، وظل محلقا في هذا الأفق حتى أتاه اليقين في اليوم الثالث عشر من يونيو عام ١٩٤٥م. وليس ذلك من عندنا، ولكنها شهادة مؤرخ مصر الكبير عبد الرحمن الرافعي حيث يقول:

أحمد محرم

شاعر الوطنية والعروبة والإسلام الكبير

(١٨٧٧-١٩٤٥م)

«شاعر ملهم من شعراء الوطنية والأخلاق، كان أدباء جيله يضعونه في صف شوقي وحافظ ومطران، وكان شيخ الشعراء إسماعيل صبري يتغنى بشعر هؤلاء الأربعة، ويطيب له التحدث عنهم. وامتاز محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة عاطفته، وقوة إيمانه، وتأملاته الفلسفية العميقة، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية، فكان شعره كله وقفا على المبادئ، لم ينحرف عنها يوما في قصيدة أو أي بيت من الشعر، فقد ظل وفيا لها، مقيما عليها في السراء والضراء، فكان حقا مثالا أعلى في الشعر والوطنية. ونجاح الشاعر في أداء رسالته مرهون بمقدرته الفنية، وصدقه وإيمانه برسالته، وبما فيها من الحق والجمال. وانطلق الشاعر الكبير يحمل رسالة الإصلاح إلى القراء، وبدأه بقصيدة بعنوان: «شكوى الاحتلال بلسان الحال» يقول فيها:



د. غريب جمعة - مصر

فهذه الكلمات التي تفوق العلقم في مرارتها ليست من لغة الشعراء، وقد تعرض قائلها للبطش والتكيل، ولكنه الحق الصراح الذي يحمله أصحاب الرسالات من الكتاب والشعراء، ويجعل الله لهم نورا



الخديوي عباس الثاني



اللورد كرومر

يمشون به في الناس ليضيئوا الطريق لأبناء عصرهم، ولمن يأتي بعدهم.

ويصوب محرم سهامه القاتلة وكلماته الحارقة إلى المحتلين، ويبدأ بكبيرهم المعتمد البريطاني في مصر وهو اللورد «كرومر» الذي كان يعتبر الحاكم الفعلي لمصر على مدى عشرين عاما..

ويقول محرم مخاطبا (كرومر).. الذي هاجم الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم في قصيدة بعنوان «كرومر والإسلام» نختار منها هذه الأبيات:

زعمت الحكم حكمك في كتاب
كذبت به الخلائق أجمعينا
وما غفلوا عن الأحقاد تغلي
مراجلها وما جهلوا اليقيننا
نفثت سمومها إذ ضاق عنها
فؤادك والقلوب تضيق حيناً

كفى حزناً أنا نرى مصر أصبحت

بعين بنيتها وهي نهب مقسم

بني مصر هذي مصر تبكي مصابها

ألا مشفق يحنو عليها ويرحم

ثم يرثي لحال التعليم وتخلفه، وقصوره عن تلبية حاجة المجتمع فيقول:

أرى أمة حيرى يظل سوادها

صريع العمى والجهل ما يتعلم

ألا مصلح يبني الحياة لقومه؟

ألا منقذ يحمي البلاد ويعصم

وبهذه القصيدة الجامعة الرائعة دخل الشاعر أحمد محرم معترك السياسة، وبدأ شعره السياسي يظهر في ميدان الأدب كأول صيحة وطنية صادقة تحت سماء مصر. وقد ساعده على أن يشق طريقه الوعر، ويكتسح العراقيل، إلى جانب مقدرته الفنية؛ حريته السياسية والفكرية، حيث لم يرتبط بأية شخصية أو هيئة سياسية، فاستطاع أن ينظم في السياسة والاجتماع والأخلاق والتاريخ، إلى غير ذلك من الأغراض التي يعتبرها داخلية في رسالته الإصلاحية.

وأي شاعر من الشعراء كان يجرؤ أن يقول ما قاله محرم في الرتب والألقاب التي يمنحها الخديوي للخاصة حيث يقول:

رتب وألقاب تغر وما بها

فخر لحرزها ولا استعلاء

كم رتبة نعم الغبي بنيلها

من حيث جليلها أسى وشقاء

لو كان يعلم ذلها وهوانها

ما طال منه الزهو والخيلاء

وقد نظم تلك القصيدة عام ١٩٠٨م وخديوي مصر عباس الثاني في عنفوانه، وقد تحمل في سبيل ذلك ما الله به عليم.



«محرم وعدوان إيطاليا على ليبيا»

لم يكن اهتمام محرم مقصودا على ما يجري في مصر، بل بما يجري



عمر المختار

خارج مصر من العالم العربي والإسلامي أيضا، لذلك لم يكن عجبا منه أن تدوي قصائده عند وقوع العدوان الإيطالي على

ليبيا فقال في قصيدة بعنوان «إيطاليا في طرابلس»:

حرب بلا سبب ماجت فيا لِقها

فالبُرُّ يرجف والدأماء تستعر

يا موقد الحرب بغيا في طرابلس

بأي عذر إلى التاريخ تعتذر؟

أذاك والعصر عصر النور عندهم

فما يكون إذا ما اسودت العصور؟

أين الألى زعموا الإنصاف شرعتهم

وقام قائمهم بالعدل يفتخر

يا أكثر الناس إنصافا ومعدلة

العدل يُصعق والإنصاف يحتضر

ثم يصف عمر المختار وجنده فيقول:

أولئك جند الله هل من مُغالِب

وفيلقُه الغازي فأين المقاوم؟

لهم من فنون الحرب ما تجهل العدى

وتعرفه أسلابهم والغنائم

وقائع يمشي النصر في جناباتها

وسرب المنايا والنسور القشاعم

«أحمد محرم وفلسطين»

لم تغب نكبة فلسطين عن شاعرنا الكبير، فقد

ويوجه خطابه إلى الإنجليز أنفسهم في تحد واضح مبينا عزم المصريين وتصميمهم على الجهاد أملا أن يزول عهدهم البغيض ومعهم أنصارهم من العملاء الخونة، فيقول:

بني (التاميز) كونوا كيف شئتم

فلن ندع الكفاح ولن نلينا

خذوا أنصاركم إنا نراهم

لنا ولقومنا الداء الدفين

هم الأعداء لسنا من ذويهم

وليسوا في الشدائد من ذوينا

ومحرم ذو نظرة على دينه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يقبل بأي حال من الأحوال أن

يمسها أحد بسوء،

ولما بلغت القحة

بالسياسي والمؤرخ

الفرنسي (هانوتو)

مبلغا جعله يزعم

أنه لا دواء للتعصب

الإسلامي سوى نسف

قبر النبي محمد،

ووضع أنقاضه في

متحف اللوفر بباريس،

ينهض محرم بدافع

من غيرته على دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيقول:

أيهم (هانوتو) بقبر محمد

ويسوع حويله يطوف ويعكف؟

أيقول تلك فلا تميد بأهلها

باريس من فزع ويهوي المتحف؟

فلسوف ينظر أي ملك ينطوي

ولسوف يعلم أي عرش يُنسَف؟



هانوتو

نظم فيها أروع القصائد. ولقد لقي ربه في يونيو عام ١٩٤٥م أي قبل حلول الكارثة الكبرى عام ١٩٤٨م؛ فماذا كان سيقول لو أمد الله في عمره المبارك حتى شاهد ذبح فلسطين أمام عينيه!!؟

لقد كان من بين القصائد التي نظمها قصيدة بعنوان: «وطن يعذب في الجحيم» وقد قدمت لها مجله الفتح التي كان يصدرها السيد محب الدين الخطيب - يرحمه الله - عندما نشرتها بقولها في عددها الصادر في ١٩ من شعبان عام ١٣٥٧هـ: «كتيبة من كتائب الإيمان، في آية من معجزات البيان، نظمها شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم لتلقى في حفلة الشبان المسلمين في القاهرة، لتكريم أعضاء المؤتمر النيابي العالمي لقضية فلسطين»

واليك بعض أبيات هذه القصيدة:
لبيك يا وطن الجهاد ومرحبا
لبيك من داع أهاب وكؤباً
لبيك إذ بلغ البلاء وإذ أبى
جد الزمان وصرفه أن نلعبا
من ذا يرى دمه أعز مكانة
من أن يخضب من فلسطين الرُّبَا؟
وطن يعذب في الجحيم وأمة
أعزز علينا أن تصاب وتنكبا
بقلوبنا الحرى وفي أحشائنا
ما شب من أشجانها وتلهيا
ثم يغمها بقوله:

يا آل يعرب من يريني خالدا
يُزجي الخميس وَيَسَحِّثُ المَقْنَبَا؟

من شاء منكم فليكنه ولا يقل

ذهب القديم، فإنه لن يذهب

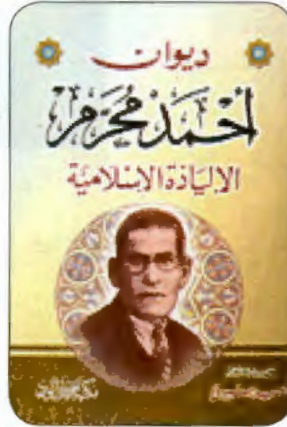
السرباق والزمان مجدد

والسيف ما فقد المضاء ولا نبا

«شعر أحمد محرم الاجتماعي»

نظر محرم إلى الأحوال الاجتماعية المضطربة، فوجه نصحه معطرا بعبير التوجيه الديني، والتعذيب الخلقي والسمو بالسلوك، وإعلاء الفرائض شأن الطيب الحاذق الحكيم. وهاهو ذا يبدي أسفه على شرذمة تعاونت على الإثم والعدوان، ووقعت في حمأة الرذيلة والخزي والعار وهم في غفلة تامة عن عقاب الله وحسابه جل جلاله، فيقول:

أسيت لسرفين أعان كُلاً
على إدمان لذته أبوه
إذا ما عاقر الفحشاء منهم
أخو النشوات غنأه أخوه
لهم فتكات أطلس ما يوارى
دم الهلاك مخليه وفوه
عليهم من سجاياهم سمات
وما أنفوا الضجار فيجحدوه
إذا ما عن في الظلماء صيد
تداعوا حوله فتصيده
شباب العار ما تركوا رجاء
لنا في مصر إلا خيبوه
أتى التنزيل بالأمثال تترى
وبالحق المبين فكذبوه
فوا أسفا لعهد الله فيهم
وعهد محمد إذ ضيعوه





جنازته المهيبة حتى لا يفضبوا سادتهم من الإنجليز،
ولكن شاعرنا يقول:

مازلت تقتحم المصاعب مجهدا
نفسا موطنية على الأهوال
حتى طواك الموت غير مجامل
شعبا يجلك أيما إجلال
أحييته وقتلت نفسك بالذي
حملتها من فادح الأثقال
هلا رحمت نفوسنا فرحمتها

وبقيت تكفيننا أذى المغتال
واستمع إليه وهو يشارك الشعب أحزانه بسبب
القتل والتنكيل الذي ارتكبه الإنجليز بالأبرياء
لإخماد الثورة عام ١٩١٩م:

سفكوا الدماء بريئة وتنمروا
يرمون شعبا لا يطيق دفاعا
ثم يذكروا إذ نحن نبذل قوتنا
ونظل صرعى البيوت جياعا
بئس الجزاء وربما كان الأذى
عدلا لن يألو العدو قراعا
﴿محرم في عيون معاصريه﴾

يقول السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلتي
الفتح والزهر، ورئيس تحرير مجلة الأزهر السابق
في فترة من عمرها تعد من أخصب الفترات. فقد
نشر قصيدة لشاعرنا في مجلة الفتح بعنوان: على
الجمر!! ثم أعقب عليها بقوله: على الجمر... نعم على
الجمر، وذلك ما يجب أن يعلمه ويوطن عليه نفسه كل
من يتصدى لأمانة التاريخ يحملها من قدس أقداسها
ليؤديها إلى من يخلفه في حملها، إلى الأجيال من
بعده. وهذه الحقيقة مهما تكن مرة فإنها أحلى
وأغلى الدروس التي يلقيها (مُدُونُ مجد الإسلام)
على أبنائه وتلاميذه، وهي نفسها من أمانات التاريخ

﴿محرم وقاسم أمين﴾

كانت دعوة قاسم
أمين إلى تعليم المرأة
أو ما أطلق عليه
«تحرير المرأة» رائجة
في ذلك الوقت،
وشغلت بها المنتديات
الأدبية والصحف
والمجلات، وتبنى



قاسم أمين

الجميع هذه الدعوة بِعَجْرَها وَبُجْرَها كما يقال،
فشدد النكير على قاسم أمين فقال:

أقاسمُ لا تقذف بنفسك تبغي
لقومك والإسلام ما الله عالم
ولولا اللواتي أنت تبكي مصابها
لما قام للأخلاق في مصر قائم
نبذت إلينا بالكتاب كأنما
صحائف مما حملن ملاحم
أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة
ودبت إلينا في الظلام الأرقام
ألا إن بالإسلام داء مخامرا
وإن كتاب الله للداء حاسم

﴿محرم والرثاء﴾

ويتجاوب محرم
مع الشعب أسمى
وحزنا على وفاة
باعت الوطنية الزعيم
مصطفى كامل
-يرحمه الله- الذي
رفض بعض الوزراء في
ذلك الوقت السير في



مصطفى كامل

الإسلامي التي يتوارثها أحبارها، ويوصي بها أولهم آخرهم... على الجمر... على الجمر...

أشار الأستاذ محرم في قصيدته إلى الذي يشكو لهيب حياته في قصيدة نظمها وهو الشاعر صابر علي رمضان، وتأمل براعة محرم في التعبير حين يقول له في محبة (إن تكن غير صابر)، وكانت مجلة الفتح قد نشرت له قصيدة بعنوان:

(من لهيب الحياة.. دولة الإسلام) وجه فيها النداء إلى أستاذه محرم فقال:

قم (يا أمير الشعر) وابعث مجده

وأعد إليه شباببه المتعثرا

وانشر خرائده الحسان على الربا

واهزز بشعرك يا أمير الأعصر

لا تبك في الدنيا الجدود فإنما

جد الأديب كدهره لن يبصرا

غرّد على أيك البيان فقد غلا

قلب البيان من الأسى وتفطرا

والروض قد هجرته أطيّار المنى

والدهر أمسى قلبه متحجرا

نظم الشاعر أحمد الكاشف أبياتا قليلة نشرتها جريدة الأهرام في حينها في رثاء رفيق دربه الشاعر أحمد محرم، وإليك بعضا منها حين قال في أسف هالك، وأسى ممض، وحزن غامر:

أخي وأخ الشهداء الكرام

أين اليوم من مشهديكا؟

قطعت معي خطوات الحياة

تحنو عليّ وأحنو عليك

إلى غاية سرت من غاية

واني خلفك في غايتيكا

وما لي غير الدموع الغزار

أرقرقها في طريقي إيك

ونشرت جريدة «الصدق» لشاعرنا قصيدة بعنوان: في ذكرى غزوة بدر الكبرى وقدمت لها بقولها:

«احتفلت الجمعيات الإسلامية في مصر مساء ١٦ من شهر رمضان المعظم بذكرى غزوة بدر الكبرى التي كان لها أكبر الأثر في تقوية شوكة الإسلام، وتوطيد بنائه على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وأيدي أصحابه المجاهدين. وقد اتجه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين في القاهرة إلى شاعر العروبة والإسلام أحمد محرم ليشترك في احتفاله بهذه الذكرى المجيدة بقصيدة من شعره الخالد، فلم ير بدا من القيام بنصيبه فيه، وهو النصيب الأكبر، على الرغم من أنه استوفى وصف هذه الغزوة المباركة وتدوين وقائعها في الجزء الأول من «الإلياذة الإسلامية».

ونشرت جريدة «النبراس» قصيدة له في ذكرى المولد النبوي عام ١٢٥٦هـ، وقدمت لها بقولها:

«إذا جاء موعد الذكريات الإسلامية الخالدة والاحتفال بها والاستفادة منها اتجهت الأنظار إلى الشاعر الأكبر الأستاذ أحمد محرم ليصف جلال هذه الذكريات، ويستخرج منها الحكم والعظات.

وإذا قيل: العروبة وآمالها والشرق العربي وواجباته من سياسية واجتماعية؛ هتف الهاتنون باسم الأستاذ محرم».

ويقول د. محمد

رجب البيومي:

«رحم الله محرمًا، فقد أسدى إلى العربية والإسلام يدا بيضاء لم يسلفها شاعر عربي قبله، ومع ذلك فقد عاش حياته الطويلة في مدينة دمنهور كادحا متعبا، لا



د. محمد رجب بيومي



كما في قصيدة بعنوان: «على أطلال المجد المصري»
التي نختار منها هذه الأبيات:

ألا إنها مصر التي شقيت بنا

فيا ويح مصر ما الذي لقيت مصر؟

مضى عزها المثلوب، ما يستعيده

بنوها فلا عز لديهم ولا فخر

هم رقدوا عنها فطال رقادهم

فديتكم هبوا فقد طلع الفجر

ألمّا تروا أن قد تقسم أمركم

بأيدي الأئى جدوا فهل لكم أمر؟

أما فيكم حر إذا قام داعيا

إلى صالح أوفى فجوابه حر

هذه هي الأطلال التي يبكيها الشاعر، ويستبكي لها، وتلك هي الأيام التي يذكر الناشئين بها من قومه الذين رقدوا وطال رقادهم، والذين يقول لهم في صيحة قوية، وحماسة عاصفة، وعاطفة جارفة.. «فديتكم هبوا فقد طلع الفجر».

ذلك هو أحمد محرم الذي لم تفتته الدنيا بزخرفها الزائل وبهرجها الباطل كما فتت غيره، بل ظل متمسكا برسائلته التي عرفها مبكرا فمضى يؤديها في حزم وعزم، وقلب تقي نقي، لا يداجي ولا يداهن، وقد دفع بذلك أفدح الأثمان كما مر بك سابقا، ولعله وجد عند ربه خير العوض، وأوفى الجزاء ■

يجد الناشر الذي يظهر له ديوانه الرائع في ثوب لائق بمركزه المرموق، ثم وافاه الأجل المحتوم، فسكت الأدياء عنه في قسوة، غافلين عن أدبه الحي وقته الرفيع، وكأنني به في حنادس القبر يردد متأوها نائحا بيته الحزين:

ظمئت وفي فمي الأدب المصفى

وضعت وفي يدي الكنز الثمين.

<< رأي.. ورأي آخر:

فبينما نقرأ أن بعض النقاد يصف شاعرنا بأنه أمير الشعراء، وأنه «مدون مجد الإسلام» وأنه... إلخ؛ نرى طائفة أخرى أحاط بهم سراق اليأس حتى حسبوا أن الأمور قد استقرت في مصر على ما هي عليه، وأن بقاء الاحتلال أصبح ضرورة لازمة لمصر، فعلام يكثر أحمد محرم في شعره من ذكر الأطلال البالية، والأيام الخالية، بينما يتجاوب غيره من الشعراء مع ما يرضي الكثير من شعر النسيب والوصف والمديح وغير ذلك مما يحرك الشهوات، ويدغدغ العواطف؟.

وهذا رأي يحتاج إلى مناقشة؛ فإن شاعرنا -رحمه الله- لا يعني بهذه الأطلال والأيام إلا أنقاض المجد المصري الذي يرفع رؤوس المصريين جميعا، ولكنه مع الأسف قد تهدمت أركانه، وذهبت أيامه، ولكنه يعود ليذكر بهذه الأيام الأولى تنبيهها للغافل، ومعونة للعامل، وقد تفتن في تناول هذا المعنى السامي، فهو يذكره مرة بصورة رمزية خفية. وأخرى واضحة جلية